إدارة الأزمة الاقتصادية من خلال قصة يوسف عليه السلام

د. محمد محمود كالو•
جامعة أديامان، تركيا (تركيا)

مقدمة

الأزمة حالة توتر خارجة عن نطاق التحكم تؤدي إلى توقف حركة العمل أو ضعفها بحيث تهدد تحقيق الأهداف، والأزمات متنوعة ومختلفة التأثير والخطورة، ولو تتبعنا تاريخ الأزمات لوجدناها قديمة قدم البشر، والقرآن الكريم خير شاهد على ذلك، فقد مرت على البشرية أزمات مادية ومعنوية عديدة كالأزمات الأخلاقية والصحية والاجتماعية والثقافية والعسكرية والسياسية والاقتصادية وغيرها، ونبينا محمد صلى الله عليه سلم وصحابته مروا أيضاً بأزمات عديدة كالهجرة والغزوات والنيل من القيادة الدعوية، وستقتصر دراستنا حول إدارة الأزمة الاقتصادية في ظل القرآن الكريم، لما للاقتصاد من أهمية بالغة في حياة الشعوب اليوم، فما هي الإدارة وأسسها؟ وما هي الأزمة وأنواعها؟ وما الفرق بين الأزمة والمشكلة والكارثة؟ وما أسباب نشوئها؟ وكيف تكون إدارة الأزمة الاقتصادية؟ وكيف أدار نبي الله يوسف عليه السلام الأزمة الاقتصادية من خلال آيات القرآن الكريم؟.

منهج البحث:

لقد اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي، وتفسير الظاهرة من خلال تحديد خصائصها وأبعادها وتوصيف العلاقات بينها، بهدف الوصول إلى وصف علمي مكتمل لها.

أهمية البحث:

إن العلوم الإدارية غاية في الأهمية، وقد أمرنا الباري سبحانه أن نأخذ بها ونعمل بمقتضاها لأنه ربط بها العمل الصالح في مواطن عدة، وتكمن أهمية البحث في عدة أمور أهمها:

1- أن القرآن الكريم لا يحتوي على كلمة الإدارة ولكن في ثناياه أسس الإدارة.

2- أن علوم القرآن مواكبة لكل زمان ومكان وهي في تجدد مستمر.

3- أن الباري سبحانه وتعالى حينما يبرز لنا في القرآن الكريم الجوانب الإدارية من خلال تجارب الأنبياء والرسل فإنه يريدنا أن نهتم بهذا الجانب لنسمو بالأمة الإسلامية.

أسباب اختيار البحث:

لما رأيت أن العلوم الإدارية تمتاز في التصور الإسلامي بأنها مرتبطة بالعقيدة وأحكام الشريعة ارتباطاً وثيقاً، بخلاف علم الإدارة المعاصر؛ اخترت أن أدلي بدلوي في هذا الجانب، وأبرز الإدارة في ضوء القرآن الكريم وارتباطه بالأمور المعاصرة؛ حيث يضع الأسس العلمية والعملية لإدارة الأزمات، لما في ذلك من أهمية بالغة في تقدم الأمم والشعوب، ولكي أتشرف بالمساهمة في خدمة كتاب الله تعالى ونيل رضاه سبحانه وتعالى.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى إبراز عدة أمور منها:

• أستاذ، جامعة أديامان، تركيا، muhmmedkalou@yahoo.com

1- التأكيد على حقيقة واقعية بأن تفسير القرآن الكريم يواكب الحياة البشرية إلى يوم الدين، ولا يقف عند جانب معين، ولهذا تعددت دراساته في جوانب شتى منها التربوية والإدارية والاجتماعية وغيرها.

2- إبراز الجانب الإداري في القرآن الكريم وخاصة في سورة يوسف عليه السلام، وتوجيه العاملين في الحقل الإسلامي إلى العمل الدؤوب في الجانب الإداري لأهميته البالغة في تقدم الأمم ورفعة الشعوب.

3- المساهمة في إثراء المكتبة الإسلامية بالجانب الإداري في ضوء التفسير الموضوعي للقرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

هناك دراسات عديدة للعلماء والدارسين لسورة يوسف عليه السلام، تفسيراً وتحليلاً واستنباطاً، ولكن في الجانب الإداري في القرآن الكريم نزر يسير، من أهمها:

1- سورة يوسف عليه السلام دراسة تحليلية، للدكتور أحمد نوفل، 1409هـ 1989م.

2- الوحي والنبوة والعلم في سورة يوسف، عبد الحميد محمود طهماز، 1410هـ 1990م.

3- المنهج الاقتصادي في التخطيط لنبي الله يوسف عليه السلام، نواف بن صالح الحليسي، 1414هـ 1994م.

4- النظم القرآني في سورة يوسف عليه السلام، جمال رفيق يوسف الحاج علي، رسالة ماجستير قدمت في جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 1421هـ 2000م.

5- موسوعة تفسير سورة يوسف، عليش متولي بدوي البني، 2004م.

6- الصورة الفنية في القصة القرآنية (قصة سيدنا يوسف عليه السلام نموذجاً- دراسة جمالية)، نصيرة بلحسيني، رسالة ماجستير في جامعة أبي بكر بلقايد، 1427هـ 2006م.

7- الدلالة الإعجازية في رحاب سورة يوسف عليه السلام، عمر محمد عمر باحاذق، 2007م.

8- دور العقيدة في بناء الشخصية المسلمة في ضوء سورة يوسف عليه السلام، عطاف محمود محمد حتحت، 2009م.

9- لمسات قدرية في سورة يوسف ودراسات قرآنية، للدكتور مأمون فريز جرار، دار المأمون، الطبعة الأولى، 1429هـ 2009م.

10-الإدارة في سورة يوسف عليه السلام (دراسة موضوعية)، نايف شعبان عبد الله قرموط، 1430 هـ 2009م.

11-جماليات النظم القرآني في قصة المراودة في سورة يوسف، للدكتور عويض بن حمود العطوي، 2010م.

خطة البحث:

لقد قسمت البحث بعد هذه المقدمة إلى مبحثين وخاتمة شاملة لأهم نتائج البحث على الشكل التالي:

المبحث الأول: **مفهوم الإدارة والأزمة**

المطلب الأول: الإدارة وأسسها الإسلامية.

المطلب الثاني: الأزمة: أسبابها وأنواعها.

المبحث الثاني: **إدارة الأزمة الاقتصادية من خلال قصة يوسف عليه السلام**

المطلب الأول: إدارة الأزمة في ضوء القرآن الكريم.

المطلب الثاني: إدارة الأزمة الاقتصادية من خلال قصة يوسف عليه السلام.

العنصر الأول: الاهتمام بالزراعة.

العنصر الثاني: زيادة الإنتاج.

العنصر الثالث: تقليل الفاقد.

العنصر الرابع: ترشيد الاستهلاك.

الخاتمة وتشمل أهم النتائج.

والله تعالى أسأل التوفيق والسداد.

المبحث الأول: مفهوم الإدارة والأزمة

الإدارة حجر الزاوية في نجاح أي مشروع على جميع المستويات، ومن أهم أسباب نمو المجتمع وتقدمه أو تخلُّفه، وليس هناك دول متقدمة اقتصادياً ودول متخلِّفة اقتصادياً، بل دول متقدمة إدارياً وأخرى متخلِّفة إدارياً، حيث كل التجارب تؤكد أن الإدارة هي المحرك الأساسي للتنمية، وبدون هذا العنصر لا تنمية ولو توفرت جميع عناصر الإنتاج.

والإدارة نشاط يرتبط بالعمل الجماعي، ويهدف إلى تحقيق نتائج محددة باستغلال موارد متاحة، والعمل على تنمية موارد جديدة، وهذا العمل يحتاج إلى تخطيط وتنظيم وتنسيق وتوجيه وتجميع وتنمية الموارد بالإضافة إلى الرقابة وتقييم الأداء.

والنشاط الإداري لا يهتم بالمشاكل الحاضرة فقط، بل يمتد أفقه إلى استشراف المستقبل والتقدير لاتخاذ القرارات المناسبة واختيار أساليب العمل، دون الانفصال عن البيئة المحيطة، إذ البيئة تؤثر تأثيراً مباشراً في إمكانيات الإدارة، كما تتأثر البيئة بما تنتجه الإدارة.

وعلم الإدارة مبني على جوانب عديدة، منها إدارة البشر، وإدارة الموارد، وإدارة الخدمات، وإدارة التطوير والتحسين، لكن أضيف إليها أخيراً إدارة الأزمات، وأصبحت من المواضيع الرئيسة في علوم الإدارة بالنظر لكثرة الأزمات المختلفة، كإدارة الأزمة السياسية، والاقتصادية، والعسكرية، والاجتماعية، والبيئية، والثقافية والفكرية وغيرها.

المطلب الأول: الإدارة وأسسها الإسلامية

الإدارة لغة : من دار يدور دوراناً، وهي اسم مؤنث لا يُذَكَّرُ يجمع جمعاً سالماً على إدارات، ومعناه التحرك من شيء والعودة إلى الموضع الذي ابتدأ، وزيدت الهمزة فيها للتعدية.

قال في مقاييس اللغة: "(دَوَرَ) الدَّالُ وَالْوَاوُ وَالرَّاء أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى إِحْدَاقِ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ مِنْ حَوَالَيْهِ. يُقَالُ دَارَ يَدُورُ دَوَرَانًا."[1].

والإدارة أصلها إدوارة، حذفت الواو منها تخفيفاً كما في كلّ فعل أجوف مثل الإجابة والإجازة.

واصطلاحاً: عرفها رائد الإدارة العلمية فريديريك تايلور Fredrick Taylor بأنها "المعرفة الدقيقة لما تريد من الرجال أن يعلموه ثم التأكد من أنهم يقومون بعمله بأحسن طريقة وأرخصها"[2].

ويمكننا أن نعرف الإدارة بأنها: توجيه نشاط مجموعة من الأفراد وتنظيم جهودهم لتحقيق هدف مشترك.

أما إذا كانت الإدارة تستند إلى نصوص القرآن الكريم وتوجيهات السنة النبوية الشريفة، فهي بلا ريب "إدارة عقيدة في مقامها الأول.. فالإسلام لم يقتصر على العبادات فقط بل هو نظام شامل وكامل للحياة"[3].

وتقوم **الإدارة الإسلامية** على الأسس التالية:

1- **المشاركة في وضع القرار**، قال الله تعالى: [وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ] [الشورى:38]، وقد شاور النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه يوم بدر، وقال أبو هريرة رضي الله عنه: "ما رأيتُ أحداً قطُّ كان أكثرَ مشورةً لأصحابِه من رسول الله صلى الله عليه وسلم"[1].

1- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399 هـ 1979م: 310/2.

2- ادارة العلاقات العامة وبرامجها، زهير عبد اللطيف عابد وغيره، مكتبة الأمل التجارية للنشر والطباعة والتوزيع، 2010 م:20.

3 – أصول الإدارة في القرآن والسنة، جميل جودت أبو العينين، دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأولى، 2003م: 56.

2- **حسن اختيار المدير:** إذ به تسد المشاكل ويحد من مشاكسة الموظف، وقد بيَّن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لمالك الأشتر النخعي لـمَّا ولّاه على مصر فقال: "انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ، فَاسْتَعْمِلْهُمُ اخْتِبَاراً، وَلاَ تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وأَثَرَةً، فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ. وَتوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَالْحَيَاءِ، مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالْقَدَمِ فِي الْاَسْلاَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلاَقاً، وَأَصَحُّ أَعْرَاضاً، وَأَقَلُّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَافاً، وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الاُْمُورِ نَظَراً "[2].

3- **العلم المقرون بالعمل والتجربة:** إذ أول كلمة من الوحي اقرأ أي تعلَّمْ، وَالْعِلْمُ يَهْتِفُ ِالْعَمَلَ ويناديه، لأن العمل ثمرة العلم، والعلم بلا عمل حجة على صاحبه يوم القيامة، ولهذا حذر الله تعالى المؤمنين أن يقولوا ما لا يفعلون، فقال عز وجل: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ] [الصف: 2 – 3].

4- **التقدم في العمل:** ويكون بعدة أمور منها:

أ. اقتناص الفرص: فالفرصة سريعة الفوت بطيئة العود، واقتناص الفرص أساس ريادة الأعمال، قال ابن القيم رحمه الله: "الرَّجُلَ إِذَا حَضَرَتْ لَهُ فُرْصَةُ الْقُرْبَةِ وَالطَّاعَةِ فَالْحَزْمُ كُلُّ الْحَزْمِ فِي انْتِهَازِهَا وَالْمُبَادَرَةِ إِلَيْهَا، وَالْعَجْزُ فِي تَأْخِيرِهَا وَالتَّسْوِيفِ بِهَا، وَلَا سِيَّمَا إِذَا لَمْ يَثِقْ بِقُدْرَتِهِ وَتَمَكُّنِهِ مِنْ أَسْبَابِ تَحْصِيلِهَا، فَإِنَّ الْعَزَائِمَ وَالْهِمَمَ سَرِيعَةُ الِانْتِقَاضِ قَلَّمَا ثَبَتَتْ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يُعَاقِبُ مَنْ فَتَحَ لَهُ بَابًا مِنَ الْخَيْرِ فَلَمْ يَنْتَهِزْهُ، بِأَنْ يَحُولَ بَيْنَ قَلْبِهِ وَإِرَادَتِهِ، فَلَا يُمْكِنُهُ بَعْدُ مِنْ إِرَادَتِهِ عُقُوبَةً لَهُ"[3].

ب. الحزم في العمل: وفي المثل: لا خير في عزم بغير حزم، والحزم جودة النظر في الأمر، ونتيجته الحذر من الخطأ فيه، أما العزم فقصد الإمضاء والنفاذ فيه، ومنه قولهم: رَوِّ بحزم فإذا استوضحت فاعزم.

ت. التقدم المستمر في العمل: قال عليه الصلاة والسلام: (أحبُّ الأعمالِ إلى الله أدومُها وإن قَلَّ)[4].

5- **مرافقة ذوي التجارب:** فالتجربة محطة نضج، والمجرب أحكم من الطبيب، وإذا أردت أن تنجح في حياتك فاجعل التجربة مستشارك الحكيم.

المطلب الثاني: الأزمة أسبابها وأنواعها

الأزمة لغة: تحمل الأزمة معاني عديدة تدل بمجملها على الشدة والضيق، جاء في لسان العرب: "الأَزْمُ: شدَّةُ العَضِّ بالفَمِ كلِّه، وَقِيلَ بالأَنْياب، والأَنْيابُ هِيَ الأَوازِمُ، وَقِيلَ: هُوَ أَن يَعَضَّه ثُمَّ يكرّر عَلَيْهِ وَلَا يُرْسِله... والأَزْمُ: الجَدْبُ والمَحْل. ابْنُ سِيدَهْ: الأَزْمة الشِّدَّةُ والقَحْط... وَفِي الْحَدِيثِ: اشْتَدِّي أَزْمَة تَنْفَرجي[5]، قَالَ: الأَزْمَة السَّنة المُجْدِبة. يُقَالُ: إِن الشدَّة إِذا تَتابَعت انْفَرَجَتْ وإِذا تَوالَتْ تَوَلَّت. وَفِي حَدِيثِ مُجَاهِدٍ: أَن قُرَيْشاً أَصابَتْهم أَزْمةٌ شديدةٌ وَكَانَ أَبو طَالِبٍ ذَا عيالٍ."[1].

1- أخرجه أحمد في مسنده (19231) وعبد الرزاق في مصنفه (9720)، وابن حبان في صحيحه (4872)، قال ابن حجر في فتح الباري (393/5): رجاله ثقات، إلا أنه منقطع.

2- نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام، جمعه: مُحَمَّد بن الحسين شريف الرضي، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، 1408هـ: 139.

3- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة 27، 1415هـ /1994م:502/3-503.

4- أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل برقم: (6464)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره برقم: (218).

5- والحديث أخرجه التنوخي في "الفرج بعد الشدة" (113/1)، والدارقطني في "الأفراد" كما في "أطراف الغرائب والأفراد" (220/1)، ومن طريقه القضاعي في "مسنده" (748)، والديلمي في "مسنده" (1731)، وعزاه السخاوي في "المقاصد الحسنة" (114) للعسكري في الأمثال، كلهم من حديث أمية بن خالد حدثنا الحسين بن عبد الله بن ضميرة عن أبيه عن جده عن علي، قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول، وذكره، والحسين كذاب، والمراد: ابلغي في الشدة النهاية، حتى تنفرجي" اهـ [المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة

واصطلاحاً: هي "مجموعة الظروف والأحداث المفاجئة التي تنطوي على تهديد واضح للوضع الراهن المستقر في طبيعة الأشياء"[2].

وعرف بعضهم الأزمة الاقتصادية بأنها: "اضطراب يطرأ على التوازن الاقتصادي، ينشأ في العادة عن اختلال التوازن بين الإنتاج والاستهلاك"[3].

الفرق بين الكارثة والأزمة والمشكلة

الأزمة: خلل مفاجئ نتيجة لأوضاع غير مستقرة يترتب عليها تطورات غير متوقعة نتيجة عدم القدرة على احتوائها من قبل الأطراف المعنية، فهي حالة غير عادية تخرج عن نطاق التحكم والسيطرة، وتؤدي إلى توقف العمل أو هبوطها إلى درجة غير معتادة، بحيث تهدد تحقيق الأهداف المطلوبة في الوقت المحدد[4].

والكارثة: النَّازِلَة الْعَظِيمَة والشدة، وهي أكثر المفاهيم التصاقاً بالأزمات، وقد ينجم عنها أزمة، ولكنها لا تكون هي أزمة بحد ذاتها، وتعبر "الكارثة عن حالة مدمرة حدثت فعلاً ونجم عنها ضرر في الأرواح أو الماديات أو كليهما معاً"[5].

والمشكلة: تعبر عن الباعث الرئيسي الذي يسبب حالة ما من الحالات غير المرغوب فيها، وتحتاج عادة إلى جهد منظم للتعامل معها وحلها، وقد تؤدي إلى وجود أزمة ولكنها ليست بذاتها أزمة[6].

الفرق بين الكارثة والأزمة: رغم اتفاقهما في كون كل منهما موقفاً مفاجئاً إلا أن الكارثة قد تنجم عنها الأزمة، فحدوث الكارثة عن وجود بعض الأزمات التي كانت قائمة بالفعل في المجتمع قبل وقوع الكارثة إلا أنها كانت في حالة سكون وركود، وعليه فإن بعض الكوارث تبرز لنا الأزمات.

لا خلاف في أن الأزمة جزء رئيس في واقع الحياة البشرية والمؤسسية، وهذا مما يدعونا إلى إدارتها بإيجاد حلول مناسبة لمواجهتها والحد من نتائجها السلبية، والاستفادة من نتائجها الإيجابية.

وقد أطلق فقهاء الإسلام على الأزمة اسم **جائحة**، وهي "الآفة التي تهلك الثمار وتجتاح الأموال وتستأصلها وكلُّ مصيبة عظيمة وفتنةٍ كبيرة. والسنَةُ الجائحة هي الجدبةُ"[7].

وفي حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنْ بِعْتَ مِنْ أَخِيكَ تَمْرًا فَأَصَابَتْهَا جَائِحَةٌ، فَلَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئًا بِمَ تَأْخُذُ مَالَ أَخِيكَ بِغَيْرِ حَقٍّ»[8].

قَالَ عَطَاءٍ: "**الْجَوَائِحُ: كُلُّ ظَاهِرٍ مُفْسِدٍ مِنْ مَطَرٍ، أَوْ بَرَدٍ، أَوْ جَرَادٍ، أَوْ رِيحٍ، أَوْ حَرِيقٍ**".

وقَالَ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ: «لَا جَائِحَةَ فِيمَا أُصِيبَ دُونَ ثُلُثِ رَأْسِ الْمَالِ، وَذَلِكَ فِي سُنَّةِ الْمُسْلِمِينَ»[9].

على الألسنة، للسخاوي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى 1405 هـ 1985م:116] وليس المراد فعل أمر الشدة، يُقَالُ: إن الشدَّة إذا تَتابعت انْفَرَجَتْ وإذا تَوالَتْ تَوَلَّت.

1- لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت ، الطبعة الثالثة 1414هـ، مادة (أزم): 16/12، وانظر الأثر في السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد: 429/1.

2- إدارة الأزمات: العراق نموذجاً (الحلقة الثانية)، عبد الإله البلداوي، بحث منشور على موقع دراسات:
http://www.siironline.org/alabwab/derasat(01)/344.htm

3- معجم العلوم الاجتماعية، إبراهيم مدكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975: 28، وإدارة الأزمات في المنظمات، أميمة دهان، بحث منشور في مجلة أبحاث اليرموك (سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية)، المجلد 5، العدد 4: 70.

4- واقع استخدام إدارة الأزمات في المستشفيات الحكومية الكبرى في قطاع غزة، ربحي عبد القادر الجديلي، رسالة ماجستير، قدمت في الجامعة الإسلامية، كلية التجارة قسم إدارة الأعمال، 1427 هـ 2006م: 30.

5- إدارة الأزمات في المستشفيات، عليوة السيد، إيتراك، القاهرة، 2001م:12.

6- انظر: إدارة الوقت والأزمات والإدارة بالأزمات، عليوة السيد، دار الأمين للنشر، القاهرة، 2003م: 13.

7- التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1424هـ 2003م: 73.

8- رواه أبو داود، كتاب البيوع، باب في وضع الجائحة، برقم: 3470.

9- رواه أبو داود، كتاب البيوع، بَابٌ فِي تَفْسِيرِ الْجَائِحَةِ، برقم:3471.

والجائحة عند فقهاء المالكية "كل ما لا يستطاع دفعه من الآفات إن علم به، سواء أكان بفعل الآدمي كالجيوش واللصوص أم بغير فعله كالبرد والحر والثلج والمطر والجراد ونحو ذلك، وخالفهم الحنابلة في ذلك فعدوا الجائحة كل آفة لا صنع لآدمي فيها، أما ما كان بفعل الآدمي فلا يعد جائحة، وقال الشافعي فيما يشبه ذلك في أن كل ما أذهب الثمر أو بعضها من أمر سماوي بغير جناية آدمي يعتبر جائحة"[1].

ولم تتوقف عناية علماء الإسلام عند حد تعريف الجائحة فحسب بل ظهر عندهم فقه النوازل، وكتبوا في ذلك فصولاً وأبواباً وكتباً لبيان آرائهم وفتاويهم في ذلك.

ويشير القرآن الكريم إلى الأزمات بعبارات مختلفة، كالامتحان والاختبار، والبلاء والشدة، والعبرة والموعظة وغيرها.

وهناك أسباب كثيرة لوقوع الأزمات، لكن لكل أزمة بواعثها، أهم الأسباب ثلاثة:

أولاً: **الأخطاء البشرية في العمل**: وتكون نتيجة لسوء الفهم والإدراك، وسوء التقدير، أو الافتقار للكفاءة والمهارات والتدريب اللازم، بالإضافة إلى الشائعات وسوء التقدير، والقرارات الخاطئة وتأثيرها على سير العمل، والرغبة في الابتزاز.

ثانياً: **الأسباب الإدارية السيئة**: ويتصدرها سوء السياسات (الحكومية والعامة) والعمليات الإدارية العشوائية وهي ليست إدارة بل مجموعة من الأهواء والأمزجة، وعدم وضوح الأهداف، وضعف العلاقات بين الأفراد داخل منظومة العمل.

ثالثاً: **الكوارث الطبيعية**: كالزلازل والبراكين والتقلبات الجوية والأعاصير وتفشي الأوبئة، أو الوقوع في محيط متأزم بالحروب والتوترات، حيث تنعدم البيئة الآمنة.

أما أنواع الأزمات: فقد قسم بعض الباحثين الأزمات إلى الأزمات المادية، والأزمات المعنوية[2].

فأما الأزمات المادية: فهي أزمات ذات طابع اقتصادي، ومادي، وكمّي، وقابلة للقياس، ويمكن دراستها والتعامل معها مادياً وبأدوات تتناسب مع طبيعة الأزمة، كالانخفاض الحاد في المبيعات، وإنتاج سلع فاسدة أو غير مطابقة للمواصفات، وأزمة الغذاء، وأزمة الديون، وأزمة الاقتراض من البنوك، وعدم توافر سيولة في الشركة، وأزمة العمالة وغيرها.

وأما الأزمات المعنوية: فهي أزمات ذات طابع نفسي، وشخصي، وغير ملموس، ولا يمكن الإمساك بأبعادها بسهولة، ولا يمكن رؤية أو سماع الأزمة، بل يمكن الشعور بها، كأزمة الثقة، وتدهور الولاء، وعدم رضاء واستياء العاملين، ويأس بعضهم، وتدهور الانتماء، وانخفاض الروح المعنوية.

المبحث الثاني: إدارة الأزمة الاقتصادية من خلال قصة يوسف عليه السلام

المطلب الأول: إدارة الأزمة في ضوء القرآن الكريم

يشير القرآن الكريم إلى عدد من الأزمات بعد عصر آدم عليه السلام، إذ يرسل الله الكوارث الطبيعية بأشكال مختلفة لتعذيب قوم كذبوا بنبيهم، ثم يدير الأزمة ويعالجها بمراحل عدة، كقوم نوح عليه السلام، الذين أغرقهم الله بالغرق والطوفان، حيث كانوا يعبدون الأصنام، فجاء العلاج وإدارة الأزمة بإنذارهم في المرحلة الأولى، إذ دعاهم نوح عليه السلام ليلاً ونهاراً ولمدة ألف سنة إلا خمسين عاماً، فلم يرتدعوا، فانتقل إلى المرحلة الثانية وهي التخطيط لمواجهة الأزمة، إذ لما يئس من إيمانهم قام بصناعة سفينة، قال تعالى: [فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا] [المؤمنون:27]، وحمل فيها من الحيوانات من كل زوجين اثنين، قال سبحانه: [فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ]

1- معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، نزيه حماد، الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1993م:114.

2- مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية) المجلد التاسع عشر، العدد الثاني، يونيو2011 م، بحث: إدارة الأزمات من وحي القرآن الكريم – دراسة موضوعية، د. صبحي رشيد اليازجي: 327.

[المؤمنون:27] فغرق الكفار ونجّى الله نوحاً والذين معه، قال الله تعالى: [فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ. ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ] [الشعراء:119-120]، وهكذا انتقل إلى مرحلة الاحتواء حيث صنع وسيلة جديدة للسير في الماء، لينتقل بعدها إلى مرحلة استعادة النشاط، واستئناف الحياة الجديدة في مجتمع كله مؤمنون، وليصل بهم إلى مرحلة التعلم والخبرة والتجربة، فعرفوا أهمية الإيمان بالله تعالى، وطاعة الرسل، وكيف تكون نهاية المكذبين، مع تعلم البشر صناعة السفن[1] وغير ذلك.

وأما أهل مدين وهم قوم شعيب الذين يتصرفون في أموالهم حسب أهوائهم وليس حسب العقل والعدل، فغشوا المكيال والميزان وخاصة القسطاس الذي تضبط الموازين على أساسه، وذكر الفخر الرازي أن الغش وقع في العملة أيضاً[2]، فأضروا الزارع والصانع والمستهلك، وسببوا ارتفاع الأسعار والتضخم والأزمات الاقتصادية، فنهاهم نبي الله شعيب عليه السلام عن البخس والنقص لكي يقضي على هذا الداء الخطير فلم يستمعوا، قال الله تعالى: [وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ] [هود:84]، وجملة [إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ] تعليل للنهي عن نقص المكيال والميزان. والمقصود "أنكم في غنى عن هذا التطفيف بما أوتيتم من النعمة والثروة. وهذا التعليل يقتضي قبْح ما يرتكبونه من التطفيف في نظر أهل المروءة ويقطع منهم العذر في ارتكابه."[3].

إن "للمكاييل والموازين أهمية بالغة في الاستقرار الاقتصادي، تتمثل في تحقيق العدالة الاقتصادية بين البائع والمشتري وذلك لأن وزن أو كيل السلعة يساعد على تحديد سعرها"[4]، فكان إدارة الأزمة وعلاجها عبر أربعة مراحل: مرحلة الإنذار حيث نهاهم عن التطفيف والبخس، ومرحلة الاحتواء حيث آمنت طائفة وكفرت أخرى، قال تعالى: [قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ] [الأعراف:88] فعاقبهم الله وأهلكهم بالصيحة، ونجا شعيب ومن آمن معه، قال تعالى: [وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ] [هود:94] ثم مرحلة استعادة النشاط، حيث قام شعيب والذين معه بضبط النقد وأوفوا الكيل والميزان، والمرحلة الأخيرة هي مرحلة التعلم، حيث تم ضبط المكاييل والموازين، وراقبوا الأسواق، وراقبوا صناعة النقود وضبطوها شكلاً ووزناً[5].

وهكذا كانت إدارة الأزمات مع الأقوام، كقوم عاد الذين أرسل الباري عليهم ريحاً قوية فدمرتهم، وأهلك قوم ثمود بالصيحة، ودمر قوم لوط بالخسف، ووقعت الأزمة لنبي الله يونس عليه السلام حين التقمه الحوت ثم نجاه الله تعالى، ولم يهلك الله قومه لتوبتهم ورجوعهم إلى الإيمان.

وأهلك الباري سبحانه آل فرعون بالجدب والفيضان ثم الغرق، فقال الله تعالى: [وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ] [الأعراف: 130].

وقال سبحانه وتعالى: [فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ] [الأعراف: 136].

1- إدارة ومعالجة الأزمات في الإسلام، سوسن سالم الشيخ، دار النشر للجامعات، الطبعة الأولى، 1424هـ، 2003م: 25.

2- التفسير الكبير للفخر الرازي، دار الغد العربي، القاهرة، 1992م: 589/8.

3- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م: 137/12.

4- إدارة ومعالجة الأزمات في الإسلام، سوسن سالم الشيخ: 34.

5- المصدر السابق:38.

ويؤكد الله سبحانه وتعالى أنه لا يعاقب بغير سبب: [وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ][هود:117].

وقد يبعث الله الكوارث من قبيل الامتحان والاختبار لصبر المؤمنين وثباتهم على دينهم، قال الله تعالى: [أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ] [البقرة:214]

وينذر لله سبحانه القوم قبل إهلاكهم إذا كذبوا، كقوم نوح عليه السلام وإنذاره لقومه عدة قرون: [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ][العنكبوت:14].

وهكذا نلمس آثار الأزمة وإدارتها من خلال القرآن الكريم، وقد يذكر القرآن بعض الأزمات للعظة والاعتبار والاستفادة من حِكَمها، كقصة نبي الله يوسف عليه السلام وما تنطوي عليها من القحط والمحل والسنوات العجاف، وكيف استطاع نبي الله يوسف عليه السلام أن يدير الأزمة ويعالجها بتخطيط اقتصادي محكم، وهو ما سنتحدث عنه مفصلاً في المطلب الثاني بإذن الله تعالى.

المطلب الثاني: إدارة الأزمة الاقتصادية من خلال قصة يوسف عليه السلام

إن الحياة الإنسانية تمر بها أوضاع متشابهة رغم تباعد مسافاتها الزمانية وتغير أمكنتها الجغرافية وتعدد أحداثها التاريخية، فمن تلك الأوضاع الأزمات العاصفة، والفساد المنتشر، وسوء التخطيط، وقد وضع الباري سبحانه الأسس العلمية والعملية لعلم إدارة الأزمات في ثنايا آيات القرآن الكريم، وضرب لذلك مثلاً في سورة يوسف عليه السلام، إذ بدأ التنبؤ بالأزمة من برؤيا ملك مصر، والتي أنذرت بقرب وقوع أزمة اقتصادية عارمة، وقدر الله تعالى لنبيه يوسف عليه السلام أن يضع خطة علمية محكمة للخروج من هذه الأزمة، فأدار نبي الله يوسف الأزمة حيث بدأ بتفسير الرؤيا وطلب من الملك أن يوليه على خزائن الأرض ليديرها ويعالجها بما لديه من علم في إدارة الأزمات، وهذه هي المرحلة الأولى من الإنذار، ثم انتقل إلى مرحلة التخطيط والتنظيم، قال الله تعالى: [قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ] [يوسف:47]، ومن تأمل بين كلمات هذه الآية يجد أنها مشتملة على عديد العناصر لإدارة الأزمة، أهمها أربعة[1]:

1- الاهتمام بالزراعة.
2- زيادة الإنتاج.
3- التخزين الأمثل وتقليل الفاقد.
4- ترشيد الاستهلاك.

العنصر الأول: الاهتمام بالزراعة

الزّراعة هي الرّكن الرّئيس لحياة الإنسان، وهي المهد الأوّل الّذي كُنّا نحيا به، فالأرض منبع الخيرات وملاذ الجنس البشريّ لقوت عيشه فلولاها لما دامت الحياة، وقد قيل: ويلٌ لأمّة تأكلُ ممّا لا تزرع، وتشربُ ممّا لا تعصر، وتلبس مما لا تنسج.

ولقد أكّد الإسلام على أهميّة الزّراعة من خلال ذكر صنوف الثّمار والمحاصيل الزّراعيّة في مُحكم تنزيله، فقال الله تعالى: [وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا..] [البقرة:61].

---

[1]- إدارة الأزمات من وحي القرآن الكريم – دراسة موضوعية، د. صبحي رشيد اليازجي: 239.

وحثّ الرّسول الكريم –صلوات الله وسلامه عليه– على الزّراعة حيث قال: (ما مِن مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إلَّا كانَ ما أُكِلَ منه له صَدَقَةً، وما سُرِقَ منه له صَدَقَةٌ، وما أكَلَ السَّبُعُ منه فَهو له صَدَقَةٌ، وما أكَلَتِ الطَّيْرُ فَهو له صَدَقَةٌ، ولا يَرْزَؤُهُ أحَدٌ إلَّا كانَ له صَدَقَةٌ)[1].

ولعل قصّة نبي الله يوسف الصّديق عليه السلام خير برهان لما أحدثه من الاهتمام بالزراعة وتحسينها وتطويرها من خلال الوسائل والأساليب الزراعية، وبناء الصّوامع لتخزين الحبوب، فكان لقومه النّجاة من سنينهم العجاف، والحفاظ على الأمن العام الغذائيّ والحدّ من الجوع، والإسهام في تأمين فرص العمل فيحدّ من انتشار البطالة والّتي من شأنها أن تدفع إلى الفقر والعوز، كما ترفع مستوى الاقتصاد من خلال التّصدير.

لقد قال يوسف عليه السلام مبيناً للملأ ما يجب عليهم عمله، لتلافي ما تدل عليه رؤيا عزيز مصر من الخطر الداهم على البلاد والعباد قبل الوقوع، فقد قام بتأويلها وبيَّنه في سياق هذا التعبير والتدبير العملي، وهذا ضرب من بلاغة الأسلوب والإيجاز، لا تجد له ضريباً في غير القرآن، خاطب أولي الأمر بما لقنه للساقي خطاب الآمر للمأمور الحاضر، فأوجب عليهم الشروع في زراعة القمح حيث قال: [تَزْرَعُونَ] وتزرعون ها هنا خبر في معنى الأمر، بدليل قوله بعد ذلك [فَذَرُوهُ]، وعبر عن الأمر بالمضارع مبالغة في التعبير عن استجابتهم لنصيحته، فكأنهم قد امتثلوا أمره، وهو يخبر عن هذا الامتثال[2]، وأمرهم بالزراعة لتوافر كافة العوامل الأساسية للزراعة وهي:

أ‌- **العامل المناخي والبيئي**: يعد عامل المناخ من أكبر العوامل الطبيعية تأثيراً في تحديد أنواع المحاصيل، حيث يحدد المناطق التي يمكن زراعتها بمحاصيل معينة، وهو عامل رئيسي في تكوين التربة واختلاف أنواعها ودرجة خصوبتها، وأهم عناصر المناخ التي تؤثر في الإنتاج الزراعي سبعة[3]:

1- **درجة الحرارة:** لأنها تحدد طول فصل النمو ونوع النباتات المزروعة، وتسهم في تحديد إنتاج بعض الغلات والحصول على أقصى منفعة اقتصادية منها.

2- **كمية الأمطار:** لأنها المصدر الرئيس للمياه العذبة اللازمة للنباتات؛ فكمية الأمطار الساقطة، وفصل سقوطها، ونظام سقوطها؛ يحدد نوع المحصول الذي يمكن زراعته، وكمية الأمطار تؤثر بشكل كبير على نمو المحاصيل والإنتاج الزراعي.

3- **الرياح:** حيث تحمل حبوب اللقاح، وإدارة طواحين الهواء لسحب المياه الجوفية من الآبار، كما أنها تساعد على نضج بعض المحاصيل، ومن الآثار الضارة للرياح سرعتها الشديدة التي تتسبب في كسر سيقان بعض النباتات الضعيفة، كما أن شدة الرياح تؤدي إلى سقوط الثمار وبعض الحبوب على الأرض، إلى جانب دورها في تعرية التربة وجرفها وخاصة في المناطق الجافة.

4- **الضوء**: إذ يؤثر الضوء على عملية التمثيل الضوئي التي يمكن بواسطتها تحويل الأملاح والمواد الذائبة التي يمتصها النبات من التربة إلى عناصر غذائية تعمل على نمو النبات، فحين يطول بها النهار صيفاً يزيد من سرعة نمو النبات ونضجه مما يعوض من أثر انخفاض درجة الحرارة.

1- رواه مسلم، كتاب المساقاة، باب بَابُ فَضْلِ الْغَرْسِ وَالزَّرْعِ، برقم: 1552.

2- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمّد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1998م: 370/7.

3- المناخ وتأثيره على الزراعة، https://www.rltt.com.lb/Article/206/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D8%A7%D8%AE-%D9%88%D8%AA%D8%A3%D8%AB%D9%8A%D8%B1%D9%87-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%B2%D8%B1%D8%A7%D8%B9%D8%A9/ar

5- **الرطوبة**: إن لدرجة الرطوبة الجوية تأثيراً على كمية المياه التي تفقد من سطح الأرض بالتبخير مما يؤثر على نمو النباتات، كما يزيد أو يقلل من عملية النتح.

6- **سقوط الثلوج**: إن سقوط الثلج وتراكمه وتحوله إلى جليد بفعل الضغط يقضي على الزراعات المختلفة، والثلج في حد ذاته يعتبر طبقة عازلة تحمي التربة وتعزلها عن درجة حرارة الهواء المنخفضة؛ فيؤخر هذا الوضع التغلغل العميق للصقيع، ويعمل الغطاء الثلجي على حماية الحبوب التي تبذر في الخريف في المناطق الباردة لأنه يحميها من الصقيع ومن الرياح الجافة التي قد تسبب موت النباتات.

7- **الصقيع**: يعتبر الصقيع من أخطر العوامل المناخية على النباتات، فيضر بالزراعة إذا حدثت موجاته خلال فصل الخريف أي في المراحل الأولى لنمو النبات وقبل أن يكون في حالة تمكنه من مقاومة شدة البرودة، وكذلك إذا جاء الصقيع في أواخر فصل الربيع أي في وقت الحصاد، فهو في هذه الحالة يضر بالثمار، وقد يكون الضرر بسبب تجمد التربة.

كل هذه العناصر المناخية متوفرة في مصر، حيث اعتدال المناخ سائر العام، واستقرار الجو، وعدم وجود تقلبات جوية كالرياح والعواصف المضرة بالمحاصيل، علاوة على توافر مصادر المياه طوال العام لكثرة الأنهار الموجودة بمصر[1]، ومن هنا كان فرعون يقول: [أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ] [الزخرف:51].

ب- **العامل البشري في مصر**، حيث وفرة الأيدي العاملة والخبيرة بالزراعة، إذ عادة أهل مصر الزراعة المستمرة منذ قدم التاريخ لذا قال تعالى: [دَأَبًا] مصدر من دأب على الشيء إذا استمر وداوم عليه ولازمه.

العنصر الثاني: زيادة الإنتاج

هناك بعض العوامل التي تساعد على زيادة الإنتاج الزراعي، أهمها:

1- اختيار وقت الزراعة المناسب.

2- استخدام الأسمدة الزراعية المناسبة.

3- اختيار التربة الزراعية المناسبة.

4- التخلص من الحشائش في وقت مبكر.

5- اختيار البذور الجيدة.

ولذلك لما كان زيادة الإنتاج عنصراً أساسياً من العناصر المهمة والمساهمة في رفع النمو الاقتصادي وإدارة الأزمة، كان خطاب نبي الله يوسف عليه السلام موجهاً لجميع عناصر المجتمع، تأمل الألفاظ التالية: [تَزْرَعُونَ] و[سِنِينَ دَأَبًا] و[حَصَدتُّمْ] و[فَذَرُوهُ] و[تَأْكُلُونَ] ليشترك الجميع في عملية الزراعة، وأمرهم جميعاً بزراعة الأرض كلها بمحصول زراعي واحد وهو القمح، حتى لا تشغل المحاصيل الثانوية حيزاً من الأرض، ولمواجهة الكارثة الزراعية المتوقعة، إذ بغير القمح سيلحق الهلاك بكل البشر والدواب والأنعام، ولمدة سبع سنوات متواصلة، [سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا] فهذه السنوات السبع ليحقق فائضاً كبيراً من محصول القمح، والذي يكفي استهلاك البلاد طوال فترة الأزمة الاقتصادية، وانتصاب [دَأَبًا] على الحال من ضمير [تَزْرَعُونَ] أي دائبين، فقد كان نظام الزراعة في ذلك الوقت يعتمد على نظام ري الحياض، والذي يعتمد بدوره على فيضان النيل مرة واحدة في العام، ولكن

[1]- إدارة الأزمات من وحي القرآن الكريم – دراسة موضوعية، د. صبحي رشيد اليازجي: 239.

يوسف عليه السلام أمر المصريين بالعمل الدؤوب [دَأَبًا]، أي: بجدٍّ وتعبٍ، والعمل الدؤوب يتطلب زراعة الأرض أكثر من مرة في السنة، نظراً لتوافر مصادر أخرى للمياه في مصر طوال العام، بخلاف فيضان النيل، كما أن العمل الدؤوب يتطلب أيضاً زيادة رقعة الأرض المزروعة باستصلاح الصحراء، وزيادة غلة الفدان، ورفع جودة المحصول؛ ليحقق فائضاً كبيراً من محصول القمح، وذلك لأن القمح هو المحصول الاستراتيجي الأول، وقد توقع لجوء سكان المنطقة المحيطة بمصر إليها طلباً للقمح لأنها مشهورة بالزراعة[1]، ويدل شراء إخوة يوسف على انتفاع جيران مصر من القمح، قال الله تعالى: [وَجَاء إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ. وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ] [يوسف: 58-59]، كما تثبت جملة: [وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ] أنه "يرحب بالضيوف؛ وقد لمسوا ذلك بحُسْن المكان الذي نزلوا فيه. بما فيه من راحة وطيب الاستقبال، ووجود كل ما يحتاجه الضيف في إقامته"[2]، ويدل أيضاً على وجود دور الضيافة في مصر، حيث هناك أماكن للبشر وأخرى للحيوانات ليستريحوا من وعثاء السفر، "فدل قوله: [خَيْرُ الْمُنزِلِينَ] على أنه كان ينزل الممتارين في ضيافته لكثرة الوافدين على مصر للميرة. والمنزل: المضيف"[3]، وكذلك كل فرد له قدر معين من الكيل، ويستلزم ذلك إحصاء الأفراد وتدوين أسمائهم في الديوان بدليل قوله تعالى: [قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ] [يوسف:65] وهكذا تسخر الدولة جميع إمكانياتها في إنقاذ كيانها من هذه الأزمة الاقتصادية.

العنصر الثالث: التخزين الأمثل وتقليل الفاقد

التخزين الأمثل يكون من خلال التموين والادخار والمحافظة على المحصول باستخدام أفضل الطرق لضمان التخزين وسلامته من الآفات كالتسوس والرطوبة والإنبات، وعملية التخزين تتطلب أن تكون فيها الدقة والمتابعة السليمة، ونكون ملزمين بقاعدة (الذي يتم إنتاجه أولاً يستهلك أولاً) حسب الكميات المطلوبة[4]، ولذلك أمر نبي الله يوسف عليه السلام بأن يترك القمح في سنبله، وهي طريقة قديمة ومعروفة لتخزين القمح، حيث تحمي السنابلُ حبات القمح من العوامل الجوية الخارجية، وفي تخزين القمح في سنابله فوائد كثيرة منها: طعام الإنسان، وتوفير الماء للشرب في عدم زراعة الأرض في السنوات العجاف، وقشرها علف للحيوانات، وقيام صناعة الطوب اللبن بخلط التبن مع الطين[5].

وقد ذكر المفسرون عند قوله تعالى: [فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ] أي: اتركوا الحب في سنبله فلا تخرجوه منها، الحب لغذاء الناس، والتبن لغذاء البهائم والدواب، إلا ما لا غنى عنه من القليل الذي تأكلونه في تلك السنين، ليكون أسلم له من إصابة السوس الذي يصيب الحب إذا تراكم بعضه على بعض فإذا كان في سنبله دفع عنه السوس، والسنبلات اليابسات رمز لما يدخر، وكونها سبعاً رمز لادخارها في سبع سنين، فقد مزج تعبيره بإرشاد جليل لأحوال التموين والادخار لمصلحة الأمة[6]، وقال بعض المفسرين: إن هذه نصيحة، وهي غير الرؤيا[7]،

1- إدارة الأزمات من وحي القرآن الكريم – دراسة موضوعية، د. صبحي رشيد اليازجي:240.

2- تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم: 7007/11.

3- التحرير والتنوير لابن عاشور: 13/13.

4- الإدارة في سورة يوسف عليه السلام: دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، نايف شعبان عبد الله قرموط، قدمت في الجامعة الإسلامية بغزة، عام 1430 هـ 2009م: 218.

5- إدارة ومعالجة الأزمات في الإسلام، سوسن سالم الشيخ: 29.

6- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور: 286/12-287.

7- زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، د.ت: 3830/7.

وفي قوله [إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ] إرشاد لهم إلى التقليل في الأكل، مع مراعاة القصد والاكتفاء بما يسد حاجة الجوع، فإن الناس يقنعون في سني الخصب والرخاء بالقليل[1]، وهذا تحريض على استكثار الادخار، وأن من الواجب عليهم أن يقتصدوا في مأكولاتهم إلى أقصى حد ممكن ولا يبذروا لادخار ما فضل عن ذلك لزمن القحط والشدة، ولأن المصلحة تقتضى ذلك، وحرف (مِنْ) للتبعيض.

قال القرطبي رحمه الله تعالى: "هَذِهِ الْآيَةُ أَصْلٌ فِي الْقَوْلِ بِالْمَصَالِحِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي هِيَ حِفْظُ الْأَدْيَانِ وَالنُّفُوسِ وَالْعُقُولِ وَالْأَنْسَابِ وَالْأَمْوَالِ، فَكُلُّ مَا تَضَمَّنَ تَحْصِيلَ شيء مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ فَهُوَ مَصْلَحَةٌ، وَكُلُّ مَا يُفَوِّتُ شَيْئًا مِنْهَا فَهُوَ مَفْسَدَةٌ، وَدَفْعُهُ مَصْلَحَةٌ، وَلَا خِلَافَ أَنَّ مَقْصُودَ الشَّرَائِعِ إِرْشَادُ النَّاسِ إِلَى مَصَالِحِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةِ، لِيَحْصُلَ لَهُمُ التَّمَكُّنُ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَعِبَادَتِهِ الْمُوَصِّلَتَيْنِ إِلَى السَّعَادَةِ الْأُخْرَوِيَّةِ"[2].

العنصر الرابع: ترشيد الاستهلاك

ترشيد الاستهلاك: هو استخدام الموارد المتاحة بالشكل الأمثل، من خلال الاعتماد على تقنياتٍ وإجراءاتٍ محدّدةٍ دون إلحاق الأذى بإنتاجية الأفراد وراحتهم، والذي يبدو أن يوسف عليه السلام نجح في ذلك إلى حد بعيد، بإبقاء الحصاد في سنبله إلا القليل الذي يلزم للاستخدام، ولاستمرار النوع، [إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ] والواضح من الآية أنه يجب إبقاء الكثير في سنبله، ونستطيع أن نحدد قيمة القليل بالتقريب وليس بالقطع، ونستهدي لذلك بالقرآن الكريم حيث خاطب الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بقوله: [يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ. قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا] [المزمل:1-2]، ولكن لم يتضح لنا بعد معنى القليل، فلنعد إلى قوله تعالى في نفس السورة: [إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ] [المزمل:20] يظهر لنا من خلال هذه الآية أن الله تعالى قد أخبر نبيه بأنه جل وعلا يعلم أن يقوم أدنى من ثلثي الليل، فنخرج بأن القليل هو أكثر من الثلث وأقل من النصف، وأن الكثير هو أكثر من النصف وأقل من الثلثين، ويترتب على ذلك أن يكون الذي يستخدمه الناس على لسان يوسف عليه السلام هو أكثر من ثلث الإنتاج وأقل من نصفه، بمعنى أنه لو كان قيمة الإنتاج مئة بالمئة وقسمناها خمس وحدات، يكون وحدتان للاستهلاك، وثلاث وحدات للتخزين، وهذه الوحدات غير مرتبطة بكميات محدودة، لأن الإنتاج والاستهلاك غير ثابتين، ومرتبطين بعدد السكان وزيادته[3].

وهكذا بعد انتهاء الأزمة تم استعادة النشاط الاقتصادي في الصادر والوارد والناتج، ومن ثم الوصول إلى مرحلة التعلم والخبرة في إدارة الأزمات الاقتصادية بالتنظيم وتدوين المعلومات، والاعتناء بالزراعة، والتعاون بروح الفريق والعمل الجماعي، ووضع نظام للري، والطرق الحديثة في التخزين، مع ضبط المكاييل والموازين ومراقبة جميع الأعمال بدقة متناهية.

الخاتمة:

يتبيّن لنا من خلال هذه الدراسة أن القرآن الكريم أوضح لنا مفاهيم الإدارة الحديثة لأي أزمة كانت، وأننا إذا عملنا بالعلوم الإدارية فإننا نطيع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، وحين نبتعد عن الإدارة في أعمالنا وتصرفاتنا فإننا نقصر في حق أنفسنا وديننا الحنيف، إذ الأزمة واقع لا مفر منه، والعلوم الإدارية في العصر الحديث تمثل الصحوة الحضارية العالمية.

ولقد توصل الباحث إلى نتائج عديدة أهمها:

1- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)/ مُحَمَّد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م: 263/12.

2- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ1964م: 203/9.

3- الإدارة في سورة يوسف عليه السلام: دراسة موضوعية، نايف شعبان عبد الله قرموط: 218.

1- أن الأزمات حالة إنسانية طبيعية يتعرض لها الأفراد والجماعات والدول على حد سواء، مع تفاوت في ردات الأفعال ومواجهتها من جماعة إلى أخرى.

2- أن الإدارة حجر الزاوية في نجاح أي مشروع على جميع المستويات، وأن إدارة الأزمة في الإسلام عقيدة في مقامها الأول.

3- وأن القرآن الكريم كشف عن الوسائل وسبل العلاج ومواجهة عديد الأزمات، ثم أدار الأزمة وعالجها بمراحل عدة وبإحكام تام، كما فعل بقوم نوح، وأهل مدين، وعاد وثمود.

4- وأن الإدارة الإسلامية تقوم على أسس أهمها: المشاركة في وضع القرار، وحسن اختيار المدير، والعلم المقرون بالعمل، والتقدم المستمر في العمل وذلك باقتناص الفرص، والحزم في العمل، ومرافقة ذوي الخبرة والتجربة.

5- وأن هناك فرقاً بين الأزمة والكارثة والمشكلة، وقد أشار القرآن الكريم إلى الأزمات بعبارات مختلفة، كالامتحان والاختبار، والبلاء والشدة، والعبرة والموعظة وغيرها، وأن فقهاء الإسلام أطلقوا على الأزمة اسم جائحة، وظهر عندهم فقه النوازل.

6- أن الباري سبحانه وتعالى وضع الأسس العلمية والعملية لعلم إدارة الأزمات في ثنايا آيات القرآن الكريم، وضرب لذلك مثلاً في سورة يوسف عليه السلام.

7- وأن يوسف عليه السلام وضع خطة علمية محكمة للخروج من الأزمة الاقتصادية، حيث بدأ بالإنذار، ثم انتقل إلى مرحلة التخطيط والتنظيم، وذلك بالاهتمام بالزراعة، وزيادة الإنتاج، والتخزين الأمثل وتقليل الفاقد، وترشيد الاستهلاك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع:

1- إدارة الأزمات في المستشفيات، عليوة السيد، إيتراك، القاهرة، 2001م.

2- إدارة الأزمات في المنظمات، أميمة دهان، بحث منشور في مجلة أبحاث اليرموك (سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية)، المجلد 5، العدد 4.

3- إدارة الأزمات من وحي القرآن الكريم – دراسة موضوعية، د. صبحي رشيد اليازجي، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية) المجلد التاسع عشر، العدد الثاني، يونيو2011 م.

4- إدارة الأزمات: العراق نموذجاً (الحلقة الثانية)، عبد الإله البلداوي، بحث منشور على موقع دراسات: http://www.siironline.org/alabwab/derasat(01)/344.htm

5- إدارة العلاقات العامة وبرامجها، زهير عبد اللطيف عابد وغيره، مكتبة الأمل التجارية للنشر والطباعة والتوزيع، 2010 م.

6- إدارة الوقت والأزمات والإدارة بالأزمات، عليوة السيد، دار الأمين للنشر، القاهرة، 2003م.

7- الإدارة في سورة يوسف عليه السلام: دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، نايف شعبان عبد الله قرموط، قدمت في الجامعة الإسلامية بغزة، عام 1430 هـ 2009م.

8- إدارة ومعالجة الأزمات في الإسلام، سوسن سالم الشيخ، دار النشر للجامعات، الطبعة الأولى، 1424هـ 2003م.

9- أصول الإدارة في القرآن والسنة، جميل جودت أبو العينين، دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأولى، 2003م.

10- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.

11- التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1424هـ 2003م.

12- تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، د.ت.

13- -تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)/ محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

14- التفسير الكبير للفخر الرازي، دار الغد العربي، القاهرة، 1992م.

15- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1998م.

16- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ1964م.

17- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة 27، 1415هـ /1994م.

18- زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، د.ت.

19- معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، نزيه حماد، الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1993م.

20- نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام، جمعه: محمد بن الحسين شريف الرضي، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، 1408هـ

21- واقع استخدام إدارة الأزمات في المستشفيات الحكومية الكبرى في قطاع غزة، ربحي عبد القادر الجديلي، رسالة ماجستير، قدمت في الجامعة الإسلامية، كلية التجارة قسم إدارة الأعمال، 1427 هـ 2006م.